

توات

الموقع و التاريخ

اختلف المؤرخون في أصل التسمية (توات) ، وتاريخ اختطاطها ، بل وحتى في رسم حدودها ، فهناك من اعتبر أن "السبب في تسمية هذا الإقليم بتوات على ما يُحكى أنه لما استفتح عقبة^١ بن نافع الفهري بلاد المغرب ، ووصل ساحله ، ثم عاد لواد نون ودرعة وسجلماسة^٢ ، وصل خيله توات ، ودخل بتاريخ ٦٢هـ، فسألهم عن هذه البلاد يعنى توات ، وعن ما يسمع ويفشى عنها من الضعف ، هل تواتي لنفي المجرمين من عصاة المغرب ، ينزله بها أو يجليه بها ، فأجابوه بأنها تواتي ، فأنطلق اللسان بذلك أنها تواتي ، فتغير اللفظ على لسان العامة لضرب من التخفيف"^٣ وهو رأي انفرد به العالم محمد بن عומר (ت.ق.١٣هـ).في حين نراه يورد إلى هذا رأياً آخر أكثر تداولاً وهو الرأي الذي أسهب في تفسيره وشرحه الشيخ سيد البكري (ت.ق.١٤هـ) حيث يقول:" في سنة ٥١٨ هـ حيث غلب المهدي^٤ الشيعي سلطان الموحيدين على المغرب . بعث قائديه علي بن الطيب والطاهر بن عبد المؤمن لأهل الصحراء وأمرهما بقبض الأتوات ، فعُرف أهل هذا القطر بأهل الأتوات ، لأن السلطان قبله منه في المغرم"^٥ ونرى البكري (ت.ق.١٤هـ) يعلق على هذه الرواية ويقول:" وهذه الرواية أصح

^١ هو عقبة بن نافع الفهري ولد في السنة الأولى قبل الهجرة ، ولاه يزيد بن معاوية على إفريقيا سنة ٦٢هـ وتوفي بمدينة بسكرة بالجزائر . (معجم مشاهير المغاربة . بو عمران الشيخ وآخرون . جامعة الجزائر ١٩٩٥م ، ص ٣٦٥-٣٦٦).

^٢ واد نون ودرعة وسجلماسة مدن تقع في المغرب الأقصى وتعتبر سجلماسة من أكبر العواصم التاريخية وأقدمها ارتباطاً بمنطقة توات. تأسست سنة ١٤٠ هـ ٧٥٧ م. (الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية . ص ٦٢).

^٣ نقل الرواة عن من أبدع قصور توات : محمد بن عمر بن محمد بن المبروك الجعفري . ص ٠٤ . مخطوط موجود بخزانة باعبد الله ، وخزانة بودة أدرار .

^٤ هو محمد بن عبد الله بن تومرت المعروف بالمهدي بدأت مبايعته على الخلافة سنة ٥١٥ هـ وتوفي سنة ٥٢٤ هـ (الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى:أحمد بن خالد الناصري . الدار البيضاء المغرب ١٩٩٧م).

^٥ درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام: محمد بن عبد الكريم البكري . ص ٠٦ (مخطوط موجود بخزانة المطارفة أدرار).

ولهذا اللفظ مسند في العربية. قال في المصباح^٦: "التوت هو الفاكهه والجمع أتوات" ،
فعرف أهل هذه البلاد بأهل الأتوات ، فحذف المضاف ، وأقيم المضاف إليه مقامه...
فصار توات بعد حذف التعريف والمضاف... وصار هذا الاسم على هذا القطر
الصحراوي من تيلكوزه إلى عين صالح^٧

وهذا التفسير اعتمده كثير من المؤرخين^٨ واعتُبر الرأي الأرجح في المسألة على ما
يذكر الرواة . في حين راح البعض^٩ الآخر ينحى بالكلمة نحواً بعيداً عن كل هذا وذاك
وفي كل يبقى الاختلاف الأساسي في أصل اشتقاق الكلمة نفسها هل هو من الفعل واتى
يواتى ، أو هو اسم للمغارم ، أي الأتوات ، أو هو غير هذا وذاك، وإنما هو اسم أعجمي
يحمل دلالات خاصة تبعاً للغة الأم ، البربرية أو التكرورية^{١٠} أو التارقية^{١١} أو العربية.
والمؤكد في كل هذا أن منطقة توات ضاربة في أعماق التاريخ" ويرجع
تاريخ عمارتها إلى ما قبل الإسلام^{١٢}

وكانت تسمى بالصحراء القبليّة ، ثم كثرت عمارتها بعد جفاف نهر قيـر^{١٣} في

^٦ المصباح المنير . أحمد بن محمد الفيومي . ج ١ . ص ١٠٨ . ط ٤ . المطبعة الأميرية القاهرة
١٩٢١ .

^٧ درة الأقاليم في أخبار المغرب بعد الإسلام . محمد بن عبد الكريم البكري . ص ٥٦ .
^٨ مثل المؤرخ محمد بن عمر في مخطوطه نقل الرواة ومولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه نسيم
النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات (المخطوط موجود بخزانة كوسام أدرار) والشيخ محمد
باي بلعالم في محاضراته حول المنطقة.

^٩ ذكر السعدي أن أصل الكلمة تكرورية " لأن الإنسان الأول الذي تخلف هناك توجع في رجله،
وتوطن هناك فسمي الموضوع باسم تلك العلة." تاريخ السودان ، عبد الرحمان السعدي . تحقيق
هوداس، ص ٥٧ ، مطبعة بردين باريس ، ١٩٦٤ م . أما العالم مولاي أحمد الإدريسي في مخطوطه
نسيم النفحات وإضافة إلى رأيه السابق يرى بأنها سميت توات لأنها تواتي للعبادة . ينظر ص
١٢ .

^{١٠} التكرورية لغة أهل تمبكتو بأرض مالي .

^{١١} التارقية لغة الطوارق من سكان الصحراء .

^{١٢} ذكر عبد العزيز بن عبد الله في معلمته حول الصحراء (أن أولاد ميمون في مدينة تمنظيط كان
عندهم مسجد يحمل محرابه تاريخ ١٠٦ هـ ، كما أكد على وجود كتابات تدل على أن قصر أولاد
حمال بني قبل الهجرة بمائة وخمسة أعوام ٥١٧ م حسب ما وجد مكتوباً على جدران مسجد
القصر). الموسوعة المغربية للأعلام البشرية والحضارية . كما ذكر الباحث الفرنسي برنارد
(BERNARD) في بحثه عن تاريخ المنطقة أن عمارة المنطقة بدأت قبل ٥٠ سنة قبل الميلاد.
التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ) ، مركز البحث العلمي غرداية (د.ت).

^{١٣} هو واد كبير ابتدأه من ناحية بلاد المغرب ويمتد إلى الصحراء إلى قريب من توات لينعطف
يميناً في رمال كثيرة وهو من أطول أودية المغرب مسافة وأقلها فائدة وأكثرها مخافة . الرحلة

غضون القرن الرابع الهجري"^{١٤}. ولا أدل على ذلك من كثرت الحديث عنها في كتب المؤرخين والرحالة العرب والأعاجم كابن حوقل والحسن الوزان والكرخي واليعقوبي وابن بطوطة^{١٥} (ت.٧٧٩هـ) وابن خلدون^{١٦} (ت.٨٠٨هـ) وأبو سالم العياشي^{١٧} (ت.ق.١١هـ) وعبد الرحمان السعدي^{١٨}، والقاضي الفع محمود كعت^{١٩}

والرحالة الحاج بن الدين الأغواطي^{٢٠} (ت.ق.١٣هـ) بالإضافة إلى الرحالة الألماني جير هارد رولف (GERHARD ROLF)^{٢١} والمؤرخان الفرنسيان مارشان (MARTIN)^{٢٢} وبرنارد (BERNARD)^{٢٣}. أما من علماء المنطقة ورحالها المعروفين ، فقد كتب عنها الشيخ مولاي أحمد بن هاشم^{٢٤} (ت.ق.١٢هـ) والشيخ سيدي عبد القادر بن

العياشي ماء الموائد.ص١٨ الجزء الأول . ط ٢ . تحقيق محمد حاجي . مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. الرباط ١٣٩٧هـ . ١٩٧٧ م .

^{١٤} الشيخ باي بلعالم . من محاضرة له للتعريف بمنطقة توات . مكتبة (ج.أ.د.ت أدرار).

^{١٥} ذكرها في كتابه تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار . ص ٦٩٩ و ٧٠٠ . دار صادر بيروت.

^{١٦} ذكرها في كتابه العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر المعروف بتاريخ ابن خلدون . الجزء السادس . ص ٥٩ . المطبعة الخديوية بولاق . مصر . ١٣٨٤ هـ

^{١٧} ذكرها في رحلته ماء الموائد الجزء الأول . ص ٢٠ . وزار المنطقة خلال هذه الرحلة التي دامت قرابة خمسة عشرة عاماً من سنة ١٠٥٩ إلى ١٠٧٤ هـ .

^{١٨} ذكرها في كتابه تاريخ السودان . ص ٥٧ وما بعدها .

^{١٩} تناول بعض أعلام المنطقة في كتابه المشهور ب: تاريخ الفتاش في أخبار البلدان والجيوش وأكابر الناس، ص ١٥ ، تحقيق: (هوداس) و (دلافوس) ، مطبعة بردين ، باريس ١٩٦٤ .

^{٢٠} ذكرها في رحلته التي كتبها سنة ١٢٤٢ هـ والتي زار من خلالها مناطق داخل الوطن وخارجه ، ومنها منطقة توات وتيميمون وقد ترجمت إلى لغات عدة . ينظر كتاب تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر هـ . أبو القاسم سعد الله . ج ٢ . ص ٤٠١ . ط ٢ الجزائر ١٩٨٥ .

^{٢١} زار المنطقة سنة ١٨٦٤ م وتحدث عنها في كتاباته . المصدر السابق . ص ٦٤ .

^{٢٢} زار المنطقة سنة ١٩٠٤ م . وكتب عنها في كتابه الشهير (أربعة قرون من تاريخ المغرب ١٥٠٤ إلى ١٩٠٢م) المصدر نفسه. ص ٤٥ .

^{٢٣} ذكرها في كتابه التسلسل الزمني لأحداث توات (معالم عن التاريخ) ، مركز البحث العلمي غرداية.

^{٢٤} تحدث عنها في رحلته التي دونها سنة ١١١٣ هـ . المخطوطات داخل الخزانات الشعبية خلال القرن التاسع عشر (١٩ م) و بداية القرن العشرين (٢٠م) ، بتوات وقورارة ، وتديكلت. محاضرة للأستاذ مبروك مقدم. ج.أ.د.ت أدرار، الجزائر ١٩٨٧م.

عمر^{٢٥} (ت. ١٢١١هـ) بالإضافة إلى الشيخ سيدي عبد الرحمان بن باعومر التتالي^{٢٦} (ت. ١١٨٩هـ) والشيخ محمد بن عبد الكريم بن عبد الحق^{٢٧} (ت. ق. ١٤هـ)،

والشيخ مولاي أحمد الإدريسي الطاهري^{٢٨} (ت. ق. ١٤هـ) والشيخ سيدي أحمد النحوي^{٢٩}. عُرِفَت منطقة توات على مر التاريخ بأنها أرض أمان واطمئنان وهو ما كان عاملاً أساسياً في توافد عدد كبير من العلماء^{٣٠} إليها من كافة الأقطار العربية والإسلامية ، على الرغم من كثرة جذبها ، وقلة رزقها . فهي معروفة بأنها ذات سباح ، كثيرة الرمال والرياح ، لا تحيط بها جبال ولا أشجار ، شديدة الحرارة المفرطة ، لا يكاد ينبت فيها إلا النخيل وبعض الأشجار القليلة لفرط حرارتها^{٣١}. وهي إلى هذا "لا تنكأ ظالماً ولا تمنع غانماً ، وهي أضعف بلاد المغرب قاطبة . غالب أهلها ضعفاء متضعفون ولقلة ضعف أهلها ، وهضم قوة النفوس ، كثر فيها

الصالحون والزهاد وأرباب القلوب"^{٣٢}. وهذه كلها عوامل شكلت الشروط الأساسية والمواتية لقدم العلماء ، والزهاد ، واستقرارهم بالمنطقة . ومع مرور الأيام ازداد

^{٢٥} تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد القادر بن عمر. المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

^{٢٦} تحدث عنها في رحلته المعروفة برحلة الشيخ عبد الرحمان بن باعومر ، ص ٠١ وما بعدها . المخطوط موجود بخزانة باعبد الله أدرار.

^{٢٧} تحدث عنها في رحلته الشهيرة (درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام) ، ص ٠٦ وما بعدها.

^{٢٨} تحدث عنها في مخطوطه نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص ١٢ وما بعدها.

^{٢٩} تحدث عنها في كتابه . لذاذ الأقوات في من حضر وعبر بأرض توات . أخبرني بذلك الشيخ الحاج أحمد الكنتي.

^{٣٠} مثل الشريف مولاي سليمان بن علي في القرن السادس الهجري والعالم محمد بن عبد الكريم المغيلي وأبو بكر العصموني في القرن التاسع الهجري والعالم العبدلاوي بن الطيب المغربي في القرن العاشر الهجري والعالم سعيد قدورة الجزائري في القرن الحادي عشر الهجري وغيرهم . محاضرة الأستاذ مبروك مقدم حول تاريخ المنطقة. ص ٦٥ - ٦٦ . (م.ج.أ.د.ت. أدرار) . وذكر محمد بن عبد الكريم في مخطوطه درة الأعلام، ص ٠٨ وما بعدها ، أنه في سنة ٨٩٠ هـ ورد ولد الباي من طرابلس وطاف بتوات ومعه عشرة من العلماء ، كل واحد منهم يحفظ خليل وبعض أصول المذهب ومتضلع في كتب بن الحاجب وعلم المعاني والبيان ، وتبعهم علماء توات في رحلتهم داخل المنطقة .

^{٣١} نسيم النفحات في ذكر جوانب من أخبار توات ، ص ١٢ . مولاي أحمد الإدريسي الطاهري.

^{٣٢} درة الأعلام في أخبار المغرب بعد الإسلام . محمد بن عبد الكريم البكري . ص ٠٨ .

التواصل وتوسع ، وتكثفت معه أشكال التفاعل الحضاري ومن ثم انكبت النفوس على
الطروس ، وراحت الأقلام تترجم الأحاسيس والمشاعر وتعبر في دهشة وإعجاب عن
واقع هذا التفاعل ، ومن ثم كان لنا هذا العمر الزاخر بالمؤلفين والمؤلفات ، وفي شتى
المعارف ، والعلوم وأستخدمت جل هذه العلوم والدراسات في خدمة كتاب الله ، وسنة
رسوله عليه الصلاة والسلام .